العدد (4061) السنة الخامسة عشرة - الإثنين (13) تشرين الثاني 2017
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

ماركس والمتخيل الثقافي الأوروبي

لعبة (المرايا المتبادلة) للمجتمعات الشرقية

يوسف محسن

هل توجد قطيعة ابستيمولوجية جذرية بين النظام الثقافي الأوروبي السائد في القرن التاسع عشر والكتابات الاستشراقية بالمعنى النقدي؟ إن نظام خطاب الكتابات الاستشراقية الأوروبية سواء كان الخطاب السياسي أو الخطاب الاقتصادي أو الخطاب الفلسفي هو نتاج تمفصلات تاريخية وانساق ثقافية وأرحام فلسفية حيث إن الكتاب والمؤلفين الاستشراقيين ينتمون معرفياً الى ذروة الفكر العقلاني الأوروبي كما يرى ماكسيم رودنسيون، ذلك انهم مثقفون (يشتغلون، يفكرون، ينتجون) داخل اثريات النظام الثقافي المؤسساتي الاوروبي وهذا النظام الثقافي وليد ابستمية معينة ترسخ رؤيته للعالم تحت ربقها رغم المحاولات الجديدة الرامية الى رد الاعتبار له بتخليصه من براثن تلك الابستمية فان النزعة المركزية الاوروبية تظل قائمة لديهم حتى في النصوص التي تعد من مرحلة الاختمار والنضج.

تؤكد الكتابات الاستشراقية وتكرر تفسيراً للفارق الاساسي بين البنى الاجتماعية الشرقية والبنى الاجتماعية الغربية على فرضية مستمدة من الفلسفة الهيغلية وذلك في معالجته للبلدان الآسيوية كأستبدادات شرقية بلا تاريخ وبعض الوقائع السياسية الاستعمارية ولكن بقيت معرفتهما بالتاريخ الشرقي مقتصرة على ما تحتويه محاضرات هيغل في فلسفة التاريخ فضلاً عن غيرها من المعلومات التي كانت متوفرة لكل مثقف في تلك المرحلة التاريخية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

ماركس الاستشراقي

أما بصدد ماركس فقد كان متماهياً مع نظام الثقافة الأوروبية عندما يرسم صوراً وتركيبات فولكلورية ودونية للمجتمع الجزائري خلال اقامته هناك (مراجعة رسائل ماركس انجلس من الجزائر ترجمة جورج طرابيشي) حيث رحب انجلس بالغزو الفرنسي للجزائر واعتبره (حقيقة مهمة وسعيدة في تقدم الحضارة) ويعتمد تفسير لهذا على فرضيتين أساسيتين:

اولاً: هو ركود التشكيلات الاجتماعية للعالم الشرقي.

ثانياً: إن الامم الصغيرة لا تسهم في تطوير الرأسمالية كنظام علاقات اقتصادية عالمية وهنا يعتبر ماركس إن الرأسمالية نظام مجتمعي وثقافي قادر على تقويض انماط الانتاج السابقة للرأسمالية. قد لا تبتعد نظرية ماركس في هذا الحقل عن السيوسيولوجية البرجوازية التقليدية والمنهج البراغماني الانكليزي اتجاه مجتمعات المستعمرة. والمجتمعات الطرفية في الاقتصاد العالمي.

يضاف الى ذلك إن التصنيفات والتحديدات الاستشراقية قد اخترقت نموذج الاستشراق الالماني والروسي في دراسة مجتمعات الشرق كبنى وتكوينات اجتماعية واقتصادية وسياسية ومعرفية شكلت جزءاً تبادلياً بشأن المخطط الخماسي لتطور المجتمعات البشرية ونمط الانتاج الاسيوي الذي يمثل ذروة الاختراق الاستشراقي المؤسساتي اذ تم اظهار هذا المفهوم كأسطورة خرافية يعيد فرضيات الاستشراق بشأن المجتمعات الشرقية كفضاء سياسي للركود والانحطاط والفوضى وهامشية الفلسفة والثقافة وأخذت الدراسات والابحاث الاستشراقية تبحث في الشواهد الايديولوجية والنصوص العتيقة. والمتون والسرديات الاسطورية عن نظام البنى الاجتماعية والاقتصادية كهرم مقلوب متجاوزة الوقائع التاريخية التي تحكم نظام البنى المعرفية والثقافية.

ادوارد سعيد

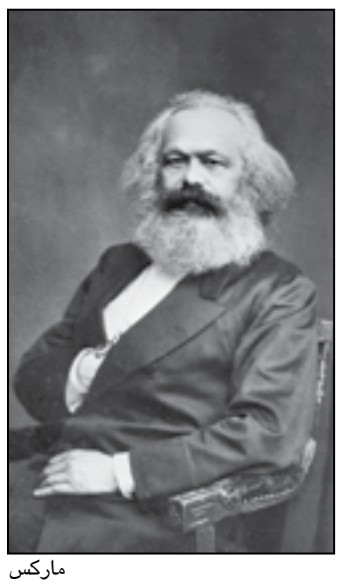
ماركس

آليات القوة والهيمنة

تكمن قيمة عمل ادوارد سعيد (الاستشراق ١٩٨٧) في قدرته على اكتشاف علاقات الهيمنة في بنية الانساق الاستشراقية، وايجاده تلك الصلات الخفية والغامضة التي تتحكم بآليات القوة والمعرفة داخل اثريات تاريخ الثقافة الاوروبية حيث خضع هذا النسق الاستشراقي للنموذج الديكارتي الذي يدعو إلى المعادلة: أن تفهم الشيء من أجل السيطرة عليه ينبغي البدء بالمعرفة أولاً ولكن لا تستطيع أن تعرف وتفهم الشيء إلا بشرط ان تتحرر ولو لحظة واحدة من هاجس السيطرة ذاته. فقد انطلقت قراءة ادوارد سعيد من اسئلة بشأن تمكن النظام الاستشراقي (من وعي الذات عبر وعي الآخر) بعملية تاريخية معقدة (تبويب) (تصنيف) (تخطيط) (اختراع) مجتمعات الشرق، وقد استخدم هذا النظام الاستشراقي أدوات تاريخية ومناهج انثربولوجية وإرث الفلسفة الأوروبية لبناء نسق معرفي تحليلي لهذه المجتمعات. تمركز عمل ادوارد سعيد في... تشكل مادة الشرق لدى دراسته ظواهر الشرق وقد شبّه وحدات المواضيع هذه بالمسرحية الهزلية ذات الشخصيات الثابتة، ذلك إن وراء الخطاب الاستشراقي بمختلف وحداته مجموعة من الرموز والمجازات (العظمة: افصاح الاستشراق) حيث قدم سعيد في عمله (الاستشراق) رؤيا (أثرية) لنظام الثقافة الأوروبية بأيديولوجياتها وبنزعتها الانسانوية والوضعية والانقلابية الفكرية والسياسية والمغامرات الفلسفية شكلت هذا العصر أمام تقدم اليقينيات الهيغيلية الكبرى والمعززة بتطور العلوم والتقنيات التي وظفها رينان وغوبينو لتشييد نظام هرمي للمجتمعات البشرية يعزز لدى الاوروبيين شعورهم بالتفوق.

المتخيل الاستشراقي

يبدو إن المتخيل الاستشراقي عن الوجود الموضوعي للشرق (كهوية منفصلة) و(فضاء للهيمنة) كان يحدد ما يعززه في لعبة (المرايا المتبادلة) في نظام الثقافة الاوروبية بين مجتمعات الشرق والمجتمعات الاوروبية منذ مطلع القرن التاسع عشر إذ (يعاكس) كل منهم صورة الآخر، ففي قراءة لـ فرانسوا هارتوغ (مرآة هيرودوتس) نجد أن هيرودوتس يحدد من خلال هذه المرآة معالم الحداثة اليونانية القديمة بالاستناد إلى ثنائية (الأنا) المتحضر و(الآخر) الهمجي حيث ان الفالسيقتيون كان من البدو الرحل عند التخوم البلقانية لأوروبا هم الذين أدوا يومئذ دور المرآة لتحديد معالم الهوية الاغريقية المتجذرة في التطور الحضري وما كان لعصر النهضة الأوروبية المفتون بتاريخ اليونان القديم إلا أن يصطنع لنفسه على غرار هيرودوتس مرآة للآخر ليحدد هويته هو ذاته، وسوف يشكل الاسلام أو الشرق الا معين الحدود الهلالية ذريعة ستساعد على تركيز الهويات السياسية للمجتمعات الاوروبية داخل الرؤيا الثقافية. فالاستشراق نمط من انماط التمركز حول الذات و هو عنصر تشريحي لقراءة انساق السرديات الثقافية والاقتصادية والفلسفية التي يشكلها النظام الثقافي الاوروبي وجزء من الصيرورات التاريخية للافراد والجماعات، فمن الصعب أن نتصور إن (اختراع الشرق) في الفرضيات الاستشراقية تكوّن وتبلور وتشكل خارج (مركبات الثقافة الاوروبية) حيث إن الخطاب الاستشراقي وجد في الشرق نموذجاً لتحقيق اشباعاته في التأسيسات التخيلية وترسيم الهوية واعادة تنظيم التمركزات داخل الفضاءات الاوربية. فهذا الخطاب الاستشراقي يقوم في تأسيساته الاولية باقصاءات متعددة للمرجعية السوسيولوجية (المولدة للمعنى) لكونه يمتلك معنى محدداً (قبليا) وارضية ميتافيزيقية وانساقاً ثقافية عن الشرق ويميل إلى انتاج وتوسيع وتحويل المعنى جزءاً من آليات القوة / الهيمنة.

الخطاب الهجائي

وقد شكل الخطاب الهجائي لأدوارد سعيد للمنظومة الاستشراقية مادة خصبة للقراءات الأصولية الدينية والقراءات القومية حيث العودة إلى انتاج اسطورة الخصائص الدائمة والطابع الثابت والتي نجد جذورها في النظام الميتافيزيقي للثقافة العربية التي تقوم على وجود نظام معرفي خاص يلائم كلا من جوهر الطبيعة الغربية والطبيعة الشرقية على حدة طبقاً لصادق جلال العظم. ان تفكيك هذه القراءات التي تقع في فخ استشراقي مقلوب حيث تسعى إلى (ابدال) تفوق العقل الغربي وديناميكيته بتفوق العقل العربي وهذا معناه (وضع ثقافة فوق ثقافة ووضع فاعل فوق قابل ومعناه بالتالي حذف مقولة التبادل أو التفاعل الثقافي التاريخي بين المجتمعات).

البرج العاجي

▪ فوزي كريم

في "التطابق" و"المفارقة"

١.

أقرأ في المقهى أحياناً، بديلاً عن قراءة البيت. في المقهى يُعدّ لي الشاي، ولا أعدُّه أنا، وقد أطمع بقطعة حلوى. ثم أني إذا ما استرحتُ من متابعة الفقرات والصفحات، أرتفع إلى متابعة أوجه وهيئات المارة من الناس. وقد أعلو إلى تأمل العمارة، وأعلو أكثر إلى تأمل ما يعتمل في الأفق حسب المواسم، من إضاءة شمسٍ أو ظلال سحب.

كثيراً ما أعلو أيضاً، لا طمعاً باستراحة من قراءة، بل طمعاً بما تدفعني القراءةُ إليه ــ جملةٌ، سطرٌ، فقرةٌ أو صفحات ــ في ملاحقة رؤى تتفتح طيات. رؤىً لا يقدر عليها إلا الخيال وحده، لأنها وليدة تزاوج بالغ الغموض بين قوى العاطفة، وقوى الأفكار، وقوى الحواس الجسدية داخل الكائن، حيث لا فواصل. القراءة هنا مُلهمة، كذلك لحظات التأمل، لأنها تُنتج رؤىً، والرؤى تطمع بدورها أن تتشكل بكلمات، بنص، وهي مُبدعةٌ أيضاً، على افتراض أني اتحدث عن شاعر، في هذا القارئ في مقهى.

في غمرة هذه الرؤى التي تتدفق برقة ماء في مجرى، يسيرة طيعةً، هكذا تبدو لي، أعدُّ ورقةً أو صفحة حاسوب لأكتبها، أو أكتب بوحي منها. أقترح كلمة، أو جملة، ثم أتوقف. أتأملها بحرج من يتبين مقدار هُزالها، وقصُورها وافتعالها ربما. وبالرغم من أني أعرف أن ما أراه من هزال هو وليد مُفارقة لا تقبل التسوية، بين رؤى (عواطف وأفكار وحواس) ليست بصرية تماماً، وليست مجردة تماماً، وبين كلمات تلتصِق بها معانيها النفعية والعملية، إلا أني أجدني أحاول، وأظل أحاول.

المفارقة لا تقبل التسوية، ولذا أحاول الاحتيال على اللغة بتقنيات الاستعارة والمجاز. إلا أن المفارقة لا تلين. صحيح أن تقنيات كهذه قد تمنحني صوراً لا أغفل جمالها، وعمقها، إلا أن مذاق الإحتيال يلاحقني، ويُلقي مزيداً من الضوء على المفارقة، بين تلك الرؤى العميقة المُلهمة بوضوحها، والتي خرجت من كياني الانساني كله، وبين الكلمات المحتالة على الورقة، التي تبدو أسماكاً لفظتها الأمواج على شاطئ.

قد تبدو في هذا الشعور مبالغة، ولكنها مبالغة على قد المقام. الشاعر لا يخلو من هذا الهاجس، منذ زمن قديم. والذي يتمتع بحاسة موسيقية، سيكون على يقين أكثر في هذا الهاجس، خاصةإذا ما استطاع أن يتأمل موسيقياً إلى جانبه، لا في المقهى بالضرورة، ولكن في مخيلته.

الموسيقي حين يؤلف عمله، يؤديه أو يغنيه، إنما يلاحق لغة ليست رموزاً لمعانٍ دالة كلغة الكتابة، بل رموزاً لأصوات. والرمز والصوت هنا متطابقان، فكلاهما تجريد، هو عين التجريد الذي يعتمل داخل الموسيقي من عواطف وأفكار وأحاسيس. ما من مفارقة هنا. الصوت كامن في الرمز كمون الخضرة في العشبة. وبفعل هذا التطابق الكلي تتطلع كل الفنون لأن تكون موسيقى، ولكن هيهات.

٢.

يذكرني هذا التطلع إلى التطابق بين اللغة ورؤى الشاعر، أسوة بالتطابق بين النوتة والصوت لدى الموسيقي، بتطلع آخر أكثر أهمية وخطورة، طالما ألحّ عليَّ فيما أفكر فيه، وفيما أكتب عنه، هو التطلع إلى مطابقة الكاتب فيما يكتب مع ذاته ككائن حي. مطابقة النظر والفعل، الفكر والحياة، بين ما يشغلني في التأمل وفي الممارسة. إن من يتأمل الكاتب العربي، شاعراً، مفكراً، سياسياً، يصطدم بهذه المفارقة الشائعة التي تقرب من الشيزوفرينا، بين كتابة وتفكير أحدهم وبين ذاته وحياته. حتى لتبدو المعرفة وخبرة التأملات، إذا ما توفرت، لا تغذي الكائن بنسغها من أجل ثمرة ما نافعة. بل هي على العكس تماماً سرعان ما تتحول إلى أسلحة للدفاع وللهجوم، أو إلى قوى عضلية للادعاء والنفاجة. ما من فكرة، أو تجربة في حقل المعرفة، مهما عظمت، كفيلة بتغيير مجرى الحياة. وكأن حياة الشخص لا تعتمد "ذاتاً" على قدر من التكون. "الذات" التي شغلت الوجودية من كيركجور حتى سارتر وكامو. إن كل ما يتصل بالجهد المعرفي، مهما تنوعت حقوله، لا تمس كيانه الانساني، لأن معانيها تظل عالقة في الرأس كذرائع وحجج للدفاع والهجوم.

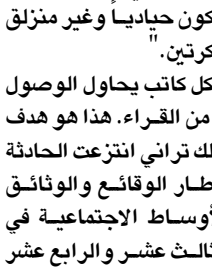

كثيراً ما أعلو أيضاً، لا طمعاً باستراحة من قراءة، بل طمعاً بما تدفعني القراءةُ إليه ــ جملةٌ، سطرٌ، فقرةٌ أو صفحات ــ في ملاحقة رؤى تتفتح طيات. رؤىً لا يقدر عليها إلا الخيال وحده.

البيت العراقي يستضيف د. الحيالي

التعليم عملية بحث وليس تلقيناً

المدى / مالمو

استضاف البيت العراقي للمعرفة ونادي دجلة في مالمو (السويد) الدكتور وليد الحيالي رئيس الاكاديمية العربية في الدنمارك، في جلسة حوارية تناول فيها الحيالي تجربته في حقل التعليم الجامعي، والتعليم الحر، كما تناول واقع التعليم العربي، والمعوقات التي يواجهها هذا الحقل في ظل المستجدات التي طرأت على إسلوب العملية التعليمية في العالم المتطور.

وتحدث د. الحيالي خلال ندوته عن تجربته العلمية بتأسيس الاكاديمية العربية في الدنمارك ودورها في رفع االمستوى العلمي للجاليات العربية بشكل عام والعراقية بشكل خاص، وتأثيرها، خاصة بعد الهجرات الجماعية للكفاءات الشابة الى الخارج، حيث اتاحت هذه الجامعة الفرصة لاكمال دراساتهم في الحقول التي تخصصوا بها.

وأكد الحيالي على اهمية التعليم والمعرفة في الارتقاء بالمجتمعات وصولا نحو الأفضل، لأن ارتفاع مستوى التعليم يخلق الكوادر البشرية التي تساهم بشكل اساس في عملية البناء والتطور..

كما أشار الى ان اهم واعظم خطط التنمية لا يمكن تنفيذها دون وجود كوادر تنقل هذه الخطط الى حيز التنفيذ، وخلق هذه الكوادر وتطورها، يقوم بها التعليم بشكل اساسي..

وأشار في مداخلته الى أهم المعوقات التي جعلت عملية التعليم تتراجع عن دورها في تطوير مجتمعاتها، إضافة الى تشخيصه البدائل لتلك المعوقات، والتي تتعلق اساسا بألية التعليم، وأساليبه التي لم تخضع للتطوير، وفقا للتطور الحاصل في كافة الحقول الاخرى.

كما أكد على أهمية تحويل الطالب من مرحلة التلقين المعرفي الى مرحلة البحث، اي يساهم الطالب في البحث عن المعلومة والحقيقة، ولا يتلقاها جاهزة من استاذه..

وتطرق الى اهمية وسائل التواصل الاجتماعي ودورها الفاعل في عملية نقل المعرفة وبالتالي أثر ذلك على رفع الوعي المجتمعي وتطوره.

ثم تحدث عن تجربة الاكاديمية العربية المفتوحة، والتي تأسست عام ٢٠٠٥ وعن موقعها الالكتروني، الذي يعطي فكرة شاملة عن الاكاديمية والمحاضرات التي القيت فيها، ويمكن لأي باحث أن يستخدم هذا الموقع لاغناء مادته المعرفية..

مشغول بي

"الملك في بيجامته".. مجازفة خضير فليح الزيدي في قصر الرحاب

بتصريح خاص للمدى يخبرنا القاص والروائي خضير فليح الزيدي قائلاً "منذ سنتين تقريبا أعمل على روايتي الجديدة التي لم تر النور بعد، اسميتها "الملك في بيجامته" وهي رواية تاريخية/ اجتماعية تتحدث عن ساعات من حياة العائلة المالكة قبيل المجزرة التاريخية في عام ١٩٥٨ من شهر تموز."

ويبدو أن رواية الزيدي ستكون مختلفة تماما عن كل تجاربه السابقة، لكونها وكما أكد الزيدي "تحتاج إلى وفرة كبيرة في المادة التاريخية الدقيقة، عن تلك الساعات التي سبقت المجزرة الرهيبة، فبعض الوثائق التي توفرت لدي لم تكن حقيقية وبعضها الآخر مزيف ومخادع، خصوصا فيما يتعلق منها في حياة بطلها عبد الستار سبع العبوسي الذي أباد كل العائلة المالكة بدقيقة واحدة من بندقيته وهو شخصية تاريخية حقيقية."

يتجرأ كاتب عراقي على محاكاة حادثة المجزرة رغم دراميتها التاريخية، إلا أن خضير فليح الزيدي قبل لنفسه المجازفة، مُبيناً أن الرواية وصلت الى نهايتها تقريباً قائلاً "بما أن هذه الرواية تدور في إطار تاريخي كان يجب أن اختار الطريقة الفنية التي تناسب هذا العمل. من المعروف أن العمل التاريخي الروائي غير جاذب للقارئ العام بسهولة. والسبب إن للتاريخ كتبه ويومياته ومذكراته فماذا ستضيف الرواية؟ ولكن دخول المتخيل التاريخي للحدث الرئيس ثم طريقة تناول الحدث التاريخي بروح المعاصرة اليومية ينتزع الواقعة التاريخية من حاضنتها الماضوية وجعلها مواكبة لما يحدث في يومنا هذا."

وهنا ستكون عملية الرويّ برمتها ليست من السهولة بل تحتاج إلى مخيلة ناضجة فكرياً هضمت معظم مقولات التاريخ ونظرياته للمطاوعة في اسقاط ما هو مناسب منها على الحدث/المجزرة في ذلك اليوم الرهيب. وعلى سبيل المثال ان الجمهور العراقي في هذا اليوم منقسم بين جمهور محب بل عاشق للحقبة الملكية، يقابله جمهور آخر عاشق للجمهورية القاسمية، من هنا يطرح الزيدي السؤال الصعب في الرواية "ماذا قدمت الملكية لهم؟ وماذا قدمت الجمهورية بالمقابل لهم سوى تاريخ ملطخ بالدماء؟ هذه الثنائية الخطيرة جداً على مستويات التفكير هي التي تطرحها الرواية في الخفاء. وكان على الكاتب أن يكون حيادياً وغير منزلق في واحدة من الفكرتين."

الزيدي يجد أن "كل كاتب يحاول الوصول إلى أكثر مساحة من القراء. هذا هو هدف سام لكل كاتب، لذلك تراني انتزعت الحادثة التاريخية من إطار الوقائع والوثائق والذهاب إلى الأوساط الاجتماعية في بغداد في يوم الثالث عشر والرابع عشر من تموز ١٩٥٨. هما اليومان اللذان تدور بهما الرواية. والوصول إلى قلب القارئ ليس من السهولة ويحتاج إلى مكر فني من الكاتب لإغواء عين القارئ للمتابعة حتى الصفحة الأخيرة."

من المؤمل أن تصدر الرواية في منتصف الشهر الثالث أو الرابع من السنة الجديدة. عملياً هي تمر في مرحلة التنقيح ما قبل النهائية، وتحتاج إلى مزيد من الغربلة والمتابعة للبنية الاسلوبية ومديات تطابق الحوارات مع الحالة النفسية لكل شخصية من شخصيات رواية "الملك في بجامته". ثمة شخوص معاصرين وآخرين في فضاء تاريخي داخل قصر الرحاب.